الصهيونية واستغلال اسم النبي ابراهيم(ع) في المناسبات الدولية

■ حجة الاسلام و المسلمين عبدالفتاح نواب

الصهيونية الايديولوجية، أو الصهيونية الدينية، وبوحي من تفسير عرفاني للارض والشعب اليهودي، ترتبط بأرض اسرائيل. ومن خلال الخلط بين المشاعراليهودية الدينية والقومية، واستغلال العداء لليهود في العديد من الدول، تحاول الصهيونية تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين. ونظراً لأن اليهود في المنفى يفتقدون الى الاصالة اليهودية الحقيقية، لذا ثمة من كان يرى ان انتقالهم الى اسرائيل والاستقرار فيها، وحده القادرعلى لفت الانظار الى تأثير اليهودية في حياتهم وفي العالم، وتجلي ارادة الله عن طريق الشعب المختار.

وتؤمن الصهيونية المستوحاة من صلب اليهودية ـ شأنها شأن اليهودية ـ بأنها تمثل شعب الله المختار. ومن جملة الاسباب التي دفعت اليهود للتباهي بالافضلية والتفاخر بذلك على الدوام، هو الزعم بأن اصولهم تعود الى النبي يعقوب ابن اسحاق؛ ومن ثم محاولة الانتساب الى أحد انبياء أولي العزم ـ ابراهيم الخليل ـ عن هذا الطريق، والمباهات بذلك. ولهذا ينظرون الى الاقوام الأخرى بأنها أقل شاناً منهم ولا ترقى الى منزلتهم، وبالتالي لا يعبأون بها ولا يعيرون لها احتراماً. غير ان القرآن الكريم يرفض التفاخر بالانساب، وينهي عن التطرف في التباهي بالاعراق، ويلفت الى ان معيار القرب والافضلية يكمن في الطاعة، موضحاً: «ما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » (آل عمران/ ٦٧- ٦٨).

المعتقدات اليهودية في خدمة الصهيونية

وفي ظل هكذا فهم وتصور، حاول قادة وزعماء الحركة الصهيونية ـ مستغلين بعض الملاحظات والتوجهات الموجود في اليهودية ـ ومن خلال التشبث ببعض الاصول الدينية المنصوص عليها في الكتاب المقدس "التورات"، حاولوا تبرير نواياهم وعدوانيتهم، والاستحواذ على مساندة الحكومات، وكسب ودّ الآخرين للتعاطف معهم. ولعل أبرز محاور المعتقدات اليهودية التي تستند اليها الحركة الصهيونية عبارة عن:

١) اصل ادعاء "شعب الله المختار".

٢) اصل ادعاء "ارض المعاد".

فيما يخص مزاعم (شعب الله المختار)، يتضح من الادبيات اليهودية المكتوبة، ان هذا النوع من التفكير كان موجوداً ـ بنحو ما ـ طوال تاريخ اليهودية. ويعتقد اليهود انهم شعب الله المختار، وان الله تعالى فضّلهم على الاقوام والملل الأخرى. وثمة من يرى أن جذور هذا التفكير ماثلة في اكثر المتون اليهودية قداسة، اي التورات. وفي هذا الصدد يرى المفكر اليهودي المعروف ألوف هارنيفين، ان هوية اسرائيل تعني: " نحن اليهود لدينا اسمين. احدهما اسرائيل، والآخر يهود. وان اسم " يهودا " مشتق من كلمة يهود. وان وجّه الاشتراك بين الاسمين هو الارتباط بالله. الامم الأخرى تحيا لنفسها لأنها تفتقد الى الارتباط بالله. أما بالنسبة لنا ـ نحن اليهود ـ الذين يطلق علينا اسم (اسرائيل)، فإننا نناضل من اجل الحياة، وتحقيق ما يتوقعه الآخرون منّا. لذا من الصعب جداً ان يصبح الانسان (اسرائيلياً) أو (يهودياً)، والاصعب من ذلك ان تنتمي لشعب آخر".

واذا ما تأملنا فيما يقوله ألوف هارنيفين نستنتج الآتي:

ـــ الطبيعة العنصرية لليهود، التي تعود في نهاية المطاف الى الاعتقاد بمقولة " شعب الله المختار "، الذي يتفاخر به اليهود ويفتقده الآخرون.

ـــ مستقبل البشرية رهناً باليهود، ويرتبط ارتباطاً مباشراً بما يقدمونه للآخرين.

ـــ اساءة استخدام العناوين والمفاهيم الدينية في الفعاليات السياسية نظير: اسرائيل ويهودا، باعتبارها تختزن نوعاً من الارتباط الالهي.

ـــ ايمان اليهود بالأفضلية على الاقوام الأخرى ـ المستلهم من التلمود والتورات ـ يمنحهم عملياً حق التحكم بالعالم المادي واحكام قبضتهم عليه.

" ارض الميعاد " والوعد الالهي

جدير بالذكر، ان مؤتمر الصهاينة الذي انعقد في سويسرا عام ١٨٩٧، كان قد أكد على الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين، وأهمية تحقق الوعد الالهي بعودة اليهود الى ارض الميعاد. وفي عام ١٨٨٢ وخلال احتفال بيلو الذي اقيم في الاتحاد السوفيتي، تم تشجيع اليهود للعمل على تحقق الوعد الالهي والعودة الى ارض الاجداد وبلوغ الهدف بتجسيد فحوى الوعد الالهي في اورشليم (فلسطين). وللبرهان على تعلق ارض فلسطين باليهود ـ بناء على الوعد الالهي المزعوم ـ يستند هؤلاء الى آيات نصت عليها التورات خوطب بها النبي ابراهيم ويعقوب:

ـــ الآية ٧، الباب ١٢، العهد العتيق، حيث توجهت بالخطاب الى النبي ابراهيم: (نمنح ذريتك هذه الارض).

ـــ الآية ١٨، الباب ١٥، العهد العتيق، حيث توجهت بالخطاب الى النبي يعقوب: (منحناك الارض من النهر ـ مصر، الى النهر العظيم ـ الفرات).

و مع الاخذ بالاعتبار هاتان الآيتان، يعتقد اليهود المهاجرون ـ الصهاينة الاوروبيون ـ بأن ارض فلسطين ارضهم ، وانهم أحق بهذه الارض من جميع بني البشر. وفي هذا الصدد ثمة ملاحظات نحاول الاشارة اليها باختصار للتدليل على عدم احقية اليهود بأرض فلسطين:

١ ـ كل وعود الكتاب المقدس التي اعطيت لإبراهيم وذريته، لا تقتصر على اليهود دون شك، لان ذرية النبي ابراهيم لا تتوقف عليهم وحدهم.

٢ ـ تشير التورات بصريح العبارة الى ان اسماعيل من ذرية ابراهيم، وان العرب الذين يقطنون فلسطين هم ابناء اسماعيل، ولهذا واستناداً الى الآيتان آنفة الذكر، لا معنى لانفراد اليهود بحقهم بأرض فلسطين.

٣ ـ تفيد الوثائق التاريخية المعتبرة، ان الوعود آنفة الذكر تم ابلاغها في زمن تضحية النبي اسماعيل، وذلك في وقت لم يكن النبي اسحاق مولوداً (جد اليهود)، ولهذا لا يمكن القبول بصحة مزاعم اليهود بالحق التاريخي في فلسطين.

٤ ـ الملاحظة الاساسية الأخرى هي، ان اليهود الذين يقيمون اليوم في الاراضي الفلسطينية، واولئك الذين قدموا الى فلسطين من اعراق اوروبية مختلفة ـ باعتبارهم اتباع دين موسى ـ بتحريض وتشجيع من الدول الاوروبية، لا يمكن اعتبارهم من ذرية ابراهيم قطعاً. بمعنى ان هؤلاء اليهود، ومع الاخذ بنظر الاعتبار مرور الزمان والتنوع الجغرافي للحياة في اوروبا، فانهم ليسوا ـ دون ادنى شك ـ من العرق الخالص الذي ينتسب للنبي ابراهيم.

ان مؤتمر الصهاينة الذي انعقد في سويسرا عام ١٨٩٧، كان قد أكد على الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين، وأهمية تحقق الوعد الالهي بعودة اليهود الى ارض الميعاد. وفي عام ١٨٨٢ وخلال احتفال بيلو الذي اقيم في الاتحاد السوفيتي، تم تشجيع اليهود للعمل على تحقق الوعد الالهي والعودة الى ارض الاجداد وبلوغ الهدف بتجسيد فحوى الوعد الالهي في اورشليم (فلسطين).